جمعية أنصار السنة
فــرع بلبيــس
اللجنــة العلميــة

كتاب الواعظ

١

إشراف

صبري بن محمد عبد المجيد

أحمد بن سليمان أيوب

إعــداد

اللجنة العلمية

١٤٣٧هـ

أعظم المهن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وبعد،

فنستهل كتابنا هذا الموسوم بـ **"الواعظ "** بالتذكير بأن الوعظ ليس عملا دنيويا كما هو مقرر في نفوس بعض العوام، وأن القائم به دون أهل الرياسة وأصحاب المال وأرذال المفكرين الأقزام، بل هو أسمى الأعمال وأعظم المهن والوظائف والأشغال، كيف لا وقد قام به رب الأرباب واختص به أشرف العباد وجعله ميراث أهل التقوى الأمجاد،

فكم من مرة يبين الله لنا في كتابه وعظه للعباد وأنه القائم به لشرف منزلته،

قال تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ} [البقرة: آية ٢٣١]. وقال: {إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ} [النساء: آية ٥٨]. وقال: {يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: آية ٩٠].

ويذكر لنا على لسان أنبيائه قيامهم بهذه الوظيفة السامية

فهود لما وعظ قومه اعترضوا عليه فقالوا: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنْ الْوَاعِظِينَ} [الشعراء: آية ١٣٦].

وأنبياء بني إسرائيل وأتباعهم لا يملون من وعظ العباد حتى تعجبت طائفة منهم وقالوا: "وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤)

وهذا نبينا محمد ﷺ يقوم واعظا في قومه: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ }(سبأ: ٤٦)

وها هو في أول مواقف الوعظ العلني يقف على جبل الصفا وقد علا صوته بالوعظ والتذكير والتخويف فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: ((يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ)) - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ

أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: ((أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟)) قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: ((فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)) فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: ٢]

فالناس في حاجة ماسة للوعظ ولا ينفكون عنه أبدا في حياتهم لتبقى حجة الله قائمة على العباد وليظل الحق واضحا لدى العيان فالضال يهتدي بالوعظ، والشارد نلم شعثه بالذكر، والعاصي يعود إلى صوابه بالوحي، فالكلمات إن خرجت من القلب التقي أعملت فيه إخباتا ورجوعا إلى الدين النقي

قال العرباض بن سارية: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ))(١)

فلا تقل وما تنفع الكلمات وقد كثرت البليات وانتشرت المعاصي والمنكرات وتبجح أهل الباطل على الدين واستهانوا بالمحرمات! ! هذه النظرة البائسة ليس لها ميزان في الإسلام وقد أمرنا الله بالوعظ حتى ولو فسد أهل الزمان لئلا يصيبنا الله بعذاب إذ تركنا الوعظ والنصح بالسنة والقرآن: { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} (هود: ١١٧)

فكم من موعظة فتح الله لها قلوب العباد والبلاد فتغيرت الأحوال وانقشع الغيم وتبدد الظلام

قال الشيخ علي الطنطاوي:

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني

" إني أحاول أن ألقي اليوم خطبة، فلا تقولوا قد شبعنا من الخطب، إنكم قد شبعتم من الكلام الفارغ، الذي يلقيه أمثالي من مساكين الأدباء، أما الخطب فلم تسمعوها إلا قليلاً، الخطب العبقريات الخالدات التي لا تنسج من حروف، ولا تؤلف من كلمات، ولكنها تنسج من خيوط النور الذي يضيء طريق الحق لكل قلب، وتحاك من أسلاك النار التي تبعث لهب الحماسة في كل نفس.

ولا تقولوا: وماذا تصنع الخطب؟

إن خطب ديموسئين صبت الحياة في عروق أمة كادت تفقد الحياة ، وهي كلمات وقفت سداً منيعاً في وجه أعظم قائد عرفته القرون الأولى ، الإسكندر ، ووجه أبيه من قبله : فيليب .

وخطبة طارق بن زياد هي التي فتحت الأندلس. وخطبة الحجاج أخضعت يوماً العراق، وأطفأت نار الفتن التي كانت مشتعلة فيه، ثم وجهته إلى المعركة الماجدة، ففتح واحد من قواد الحجاج أكثر مما فتحت فرنسا في عصورها كلها، وبلغ الصين، وحمل الإسلام إلى هذه البلاد كلها، فاستقر فيها إلى يوم القيامة، ذلك هو قتيبة بن مسلم.

ولما اجتاح نابليون بروسيا، ما أعاد لها حريتها، ولا ردَّ عليها عزمها، إلا خطب (فِختِه) التي صارت لقومه كالمعلقات يحفظها في المدارس الطلاب. . . (٢)

وفي كتابنا الواعظ ذكر لما يحتاجه الخطيب من موضوعات تتناسب مع خطب الشهر ليتخير منها ما يروق له بما يتناسب مع الزمان والمكان، إضافة إلى جملة من الفوائد وضعناها في كتابنا بما ينمي ملكة الداعية وذلك بذكر بعض الأحكام ونقل الكثير من الفوائد والدرر وما وقع فيه الدعاة من أخطاء وأوهام، إلى غير ذلك مما نرجوا نفعه في الدنيا ويوم الحشر والتناد

ونسأله سبحانه أن يتقبل منا صالح القول والعمل وأن يجنبنا السهو والغلط وأن يصرف عنا شر الأشرار وكيد الفجار والله المستعان وهو نعم الركن والجوار.

وكتبه أحمد بن سليمان

(٢) نقلا من الشامل في فقه الخطيب والخطبة للشريم "٨"

دروس وعبر من هجرة سيد البشر ﷺ

إنَّ حادث الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة من أعظم الأحداث التي حولت مجرى التاريخ الإسلامي، وغيرت مساره تماماً، فحادث الهجرة بمثابة نقطة فارقة من خلالها قامت الدولة، وصار لها شوكة وقوة واقتصاد، فالهجرة تُعدُّ انتقالاً من مرحلة الاستضعاف والقلة إلى مرحلة العزة والكثرة، كما قال الله عز وجل في معرض الامتنان على نبيه ﷺ، وعباده المؤمنين: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الأنفال: ٢٦].

والناظر في الهجرة النبوية يلحظ فيها حكماً باهرة، ويستفيد دروساً عظيمة، ويستخلص فوائد جمة.

فمن ذلك على سبيل الإجمال ما يلي:

١ ـ الهجرة من سنن الرسل الكرام:

إن الهجرة في سبيل الله سنة قديمة، ولم تكن هجرة نبينا محمد ﷺ، بدعاً في حياة الرسل لنصرة عقائدهم، فلئن كان قد هاجر ﷺ، من وطنه ومسقط رأسه من أجل الدعوة حفاظاً عليها وإيجاد بيئة خصبة تتقبلها وتستجيب لها وتذود عنها، فقد هاجر عدد من إخوانه من الأنبياء قبله من أوطانهم لنفس الأسباب التي دعت نبينا للهجرة.

وذلك أن بقاء الدعوة في أرض قاحلة لا يخدمها بل يعوق مسارها ويشل حركتها، وقد يعرضها للانكماش داخل أضيق الدوائر، وقد قص علينا القرآن الكريم نماذج من هجرات الرسل وأتباعهم من الأمم الماضية لتبدو لنا في وضوح سنة من سنن الله في شأن الدعوات يأخذ بها كل مؤمن من بعدهم إذا حيل بينه وبين إيمانه وعزته، واستخف بكيانه ووجوده واعتدي على مروءته وكرامته.

هذا إبراهيم عليه السلام بعدما كذبه قومه وآذوه حتى وصل بهم الأمر أن طرحوه في النار فنجاه الله منها، { وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [العنكبوت: ٢٦]

٢ ـ الصراع بين الحق والباطل صراع قديم ومستمر:

قال تعالى{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } [إبراهيم: ١٣، ١٤]

وفي **حديث** عائشة في قصة بدء الوحي وفيه: فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، فقص عليه قصته فقال له ورقة: لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ))، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. [١]

وهو سنة إلهية نافذة، قال عز وجل: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

ولكن هذا الصراع معلوم العاقبة قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: الآية ٢١).

٣ـ تنوع أساليب خصوم الدعوة والدعاة في الصدّ عن سبيل الله.

سواء عن طريق الحبس أو القتل أو النفي والإخراج من الأرض، وعلى الداعية أن يلجأ إلى ربه وأن يثق به ويتوكل عليه ويعلم أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله، كما قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (سورة الأنفال: الآية ٣٠).

---

[١] البخاري (٣) ومسلم (١٦٠)

ومن مكر أهل الباطل وخصوم الدعوة استخدام سلاح المال لإغراء النفوس الضعيفة للقضاء على الدعوة والدعاة ولذلك رصدوا مائة ناقة لمن يأتي بأحد المهاجرين حياً أو ميتاً، فتحرك الطامعون ومنهم سراقة، الذي عاد بعد هذه المغامرة الخاسرة مادياً بأوفر ربح وأطيب رزق، وهو رزق الإيمان، وأخذ يعمي الطريق على الطامعين الآخرين الذين اجتهدوا في الطلب، وهكذا يرد الله عن أوليائه والدعاة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: الآية ٣٦).

٤ - ضرورة الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله:

ويتجلى ذلك من خلال استبقاء النبي ﷺ، لعلي وأبي بكر رضي الله عنهما؛ معه فعليّ رضي الله عنه بات في فراش النبي ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه، صحبه في الرحلة. ويتجلى كذلك في

١- استعانته ﷺ، بعبدالله بن أريقط الليثي وكان خبيراً ماهراً بالطريق.

٢- ويتجلى كذلك في كتم أسرار مسيره إلا من لهم صلة ماسّة، ومع ذلك فلم يتوسع في اطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بهم، ومع أخذه بتلك الأسباب وغيرها لم يكن ملتفتاً إليها بل كان قلبه مطوياً على التوكل على الله عز وجل.

٥ ـ أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن مَنْ خانك

كانت أمانات المشركين عند رسول الله ﷺ، مع محاربتهم له وتصميمهم على قتله وفي هذا دليل باهر على تناقضهم العجيب الذي كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويزعمون أنه ساحر أو مجنون أو كذاب لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقاً، فكانوا لا يضعون حوائجهم ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده! وهذا يدل على أن تكذيبهم له ﷺ، لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذي جاء به، وخوفاً على

زعامتهم وطغيانهم، وصدق الله إذ يقول: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام: الآية٣٣).

وفي أمر الرسول ﷺ، لعلي رضي الله عنه، بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة، رغم هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، رغم ذلك فإن الرسول ﷺ، ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسي الإنسان نفسه فضلاً عن غيره.

٦ ـ اليد العليا في الدعوة خير من اليد السفلى:

لم يقبل رسول الله ﷺ، أن يركب الراحلة حتى أخذها بثمنها من أبي بكر رضي الله عنه، واستقر الثمن ديناً بذمته، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الخُرُوجِ إِلَى المَدِينَةِ، لَمْ يَرُعْنَا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا، فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ، فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: ((أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ))، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قَالَ: ((أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ)). قَالَ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((الصُّحْبَةَ))، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ: ((قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ)). [٢]

وهذا درس واضح بأن حملة الدعوة ما ينبغي أن يكونوا عالة على أحد في وقت من الأوقات، فهم مصدر العطاء في كل شيء.

[٢] رواه البخاري (٢١٣٨)

إن يدهم إن لم تكن العليا فلن تكن السفلى، وهكذا يصر ﷺ، أن يأخذها بالثمن وسلوكه ذلك هو الترجمة الحقة لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الشعراء: الآية١٠٩).

إن الذين يحملون العقيدة والإيمان ويدعون إليها ما ينبغي أن تمتد أيديهم إلى أحد. إلا الله. لأن هذا يتناقض مع ما يدعون إليه وقد تعود الناس أن يعوا لغة الحال لأنها أبلغ من لغة المقال، وما تأخر المسلمون وأصابهم ما أصابهم من الهوان إلا يوم أصبحت وسائل الدعوة والعاملين بها خاضعة للغة المادة، ينتظر الواحد منهم مرتبة، ويومها تحول العمل إلى عمل مادي فقد الروح والحيوية والوضاءة، وأصبح للأمر بالمعروف موظفون، وأصبح الخطباء موظفين، وأصبح الأئمة موظفين.

إن الصوت الذي ينبعث من حنجرة وراءها الخوف من الله والأمل في رضاه غير الصوت الذي ينبعث ليتلقى دراهم معدودة، فإذا توقفت توقف الصوت، وقديماً قالوا: ليست النائحة كالثكلى ولهذا قل التأثير وبعد الناس عن جادة الصواب. [٣]

٧ ـ جواز الاستعانة بالكافر المأمون:

ويجوز للدعاة أن يستعينوا بمن لا يؤمن بدعوتهم ما داموا يثقون بهم ويأتمنوهم على ما يستعينون به معهم، فقد رأينا أن النبي ﷺ، وأبا بكر استأجرا مشركاً ليدلهم على طريق الهجرة ودفعا إليه راحلتيهما وواعداه عند غار ثور، وهذه أمور خطيرة أطلعاه عليها، ولا شك أن النبي ﷺ وصاحبه وثقا به وأمناه، مما يدل على أن الكافر أو العاصي أو غير المنتسب إلى الدعاة قد يوجد عند هؤلاء ما يستدعي وثوق الدعاة بهم، كأن تربطهم رابطة القرابة أو المعرفة القديمة أو الجوار أو عمل معروف كان قد قدمه الداعية لهم. أو

[٣] معين السيرة: ص١٤٨، ١٤٩.

لأن هؤلاء عندهم نوع جيد من الأخلاق الأساسية مثل الأمانة وحب عمل الخير إلى غير ذلك من الأسباب، والمسألة تقديرية يترك تقديرها إلى فطنة الداعي ومعرفته بالشخص. [٤]

٨ ـ حسن القيادة والرفق في التعامل:

إن القيادة الصحيحة هي التي تستطيع أن تقود الأرواح قبل كل شيء وتستطيع أن تتعامل مع النفوس قبل غيرها، وعلى قدر إحسان القيادة يكون إحسان الجنود وعلى قدر البذل من القيادة يكون الحب من الجنود، فقد كان ﷺرحيماً وشفوقاً بجنوده وأتباعه، فهو لم يهاجر إلا بعد أن هاجر معظم أصحابه، ولم يبق إلا المستضعفين

والمفتونين ومن كانت له مهمات خاصة بالهجرة. [٥]

- ثبات أهل الإيمان في المواقف الحرجة:

ويتضح ذلك في جواب النبي ﷺ، لأبي بكر رضي الله عنه، لمّا كان في الغار. وذلك لما قال أبو بكر: والله يا رسول الله لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا. فأجابه النبي ﷺ، مطمئناً له: ((مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا)). [٦]

فهذا مثال من أمثلة الصدق والثبات، والثقة بالله، والاتكال عليه عند الشدائد، واليقين بأن الله لن يتخلى عنه في تلك الساعات الحرجة. هذه حال أهل الإيمان، بخلاف أهل الكذب والنفاق؛ فهم سرعان ما يتهاونون عند المخاوف وينهارون عند الشدائد، ثم لا نجد لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً.

٩ ـ استمرار الدعوة في أحلك الظروف:

في طريق الهجرة أسلم بريدة الأسلمي رضي الله عنه في ركب من قومه. [٧]

---

[٤] الهجرة النبوية المباركة، ص٢٠٦.

[٥] الهجرة النبوية المباركة، ص٢٠٥.

[٦] رواه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١)

إن المسلم الذي تغلغلت الدعوة في شغاف قلبه لا يفتر لحظة واحدة عن دعوة الناس إلى دين الله تعالى، مهما كانت الظروف قاسية والأحوال مضطربة، والأمن مفقود، بل ينتهز كل فرصة مناسبة لتبليغ دعوة الله تعالى، هذا نبي الله تعالى يوسف عليه السلام حينما زج به في السجن ظلماً، واجتمع بالسجناء في السجن، فلم يندب حظه، ولم تشغله هذه الحياة المظلمة عن دعوة التوحيد وتبليغها للناس ومحاربة الشرك وعبادة غير الله والخضوع لأي مخلوق قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة يوسف: الآيات٣٧-٤٠).

وسورة يوسف عليه السلام مكية، وقد أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقتدي بالأنبياء والمرسلين في دعوته إلى الله وذلك نجده ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة وقد كان مطارداً من المشركين قد أهدروا دمه وأغروا المجرمين منهم بالأموال الوفيرة ليأتوا برأسه حياً أو ميتاً، ومع هذا فلم ينس مهمته ورسالته ﷺ.

١٠ ـ التضحية في الهجرة:

كانت هجرة النبي ﷺ وأصحابه عن البلد الأمين تضحية عظيمة عبّر عنها النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَاقِفًا عَلَى الحَزْوَرَةِ

(٧) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٤١٨)

(مكان في مكة) فَقَالَ: ((وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)). [٨]

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، المَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلاَلٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، قُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلاَلُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى، يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ. . . وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أُقْلِعَتْ عَنْهُ يَقُولُ:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً. . . بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مِجَنَّةٍ. . . وَهَلْ تَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ)). [٩]

١١ـ أهمية العقيدة والدين في إزالة العداوة والضغائن:

قال تعالى ممتنا على نبيه ﷺ، {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٦٢، ٦٣]

إن العقيدة الصحيحة السليمة والدين الإسلامي العظيم لهم أهمية كبرى في إزالة العداوات والضغائن، وفي التأليف بين القلوب والأرواح، وهو دور لا يمكن لغير العقيدة الصحيحة أن تقدم به وها قد رأينا كيف جمعت العقيدة الإسلامية بين الأوس والخزرج، وأزالت آثار معارك استمرت عقوداً من الزمن، وأغلقت ملف العقيدة في نفوس الأنصار، فاستقبلوا المهاجرين بصدور مفتوحة، وتآخوا معهم في مثالية نادرة، لا تزال مثار الدهشة ومضرب المثل، ولا توجد في الدنيا فكرة أو شعار آخر فعل مثلما فعلت عقيدة الإسلام الصافية في النفوس. والحمد لله رب العالمين

[٨] رواه الترمذي (٣٩٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٩٢)

[٩] رواه البخاري (٥٦٥٤)

حديث إنّ اللهَ طيبٌ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟)). [١]

أهمية هذا الحديث:

قال النووي: هذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومباني الأحكام. [٢]

مباحث الحديث:

قوله ((إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ))

فيه مسائل:

الأولى: هل الطيب من أسماء الله تعالى أو هو من باب الإطلاق؟

اختلف أهل العلم في عدِّ " الطيب " مِن أسماء الله تعالى، فذكره ابن منده، وابن العربي، والشيخ ابن عثيمين، في تعدادهم لأسماء الله عز وجل، ولم يذكره الأكثرون من العلماء: كسفيان بن عيينة، والخطابي، والحليمي، والبيهقي، وابن حزم، والقرطبي،

وابن القيم، وابن حجر، والسعدي، وغيرهم ممن جمعوا أسماء الله الحسنى. [٣]

المسألة الثانية: معنى الطيب

قال القاضي عياض رحمه الله: الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص وهو

---

[١] رواه مسلم (١٠١٥)

[٢] شرح النووي على مسلم (٧/ ١٠٠)

[٣] موقع الإسلام سؤال وجواب (١/ ٧٢٠)

بمعنى القدوس وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث. [٤]

وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُقَدَّسٌ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ كُلِّهَا، وَهَذَا كَمَا فِي قَوْلِهِ: {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ} (النُّورِ: ٢٦)، وَالْمُرَادُ: الْمُنَزَّهُونَ مِنْ أَدْنَاسِ الْفَوَاحِشِ وَأَوْضَارِهَا. [٥]

فالله سبحانه وتعالى لا يلحقه شيءٌ من العيب والنقص. فهو عزّ وجل طيب في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أحكامه، وفي أفعاله، وفي كل ما يصدر منه، وليس فيها رديء بأي وجه. [٦]

قوله ((لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))

الْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الصَّدَقَاتِ إِلَّا مَا كَانَ طَيِّبًا حَلاَلًا.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ((لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا)) أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا كَانَ طَيِّبًا طَاهِرًا مِنَ الْمُفْسِدَاتِ كُلِّهَا، كَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ، وَلَا مِنَ الْأَمْوَالِ إِلَّا مَا كَانَ طَيِّبًا حَلاَلًا، فَإِنَّ الطَّيِّبَ يُوصَفُ بِهِ الْأَعْمَالُ وَالْأَقْوَالُ وَالاِعْتِقَادَاتُ، فَكُلُّ هَذِهِ تَنْقَسِمُ إِلَى طَيِّبٍ وَخَبِيثٍ. [٧]

- **فهو سبحانه وتعالى، لا يقبل إلا الطيب من الأقوال،** فقد قال تعالى {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠]

وضرب مثلاً للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، فقال تعالى{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم: ٢٤]

---

[٤] شرح النووي على مسلم (٧/ ١٠٠)

[٥] جامع العلوم والحكم (١/ ٢٥٩)

[٦] شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ١٤١)

[٧] جامع العلوم والحكم (١/ ٢٥٩)

- **ولا يقبل سبحانه إلا الطيب من الأعمال،** والطّيب من الأعمال: ما كان خالصاً لله، موافقاً للشريعة.

كما قال تعالى{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠]

وكل عمل لم يستند إلى الشرع فهو رديء مردودٌ عند الله عزّ وجل، لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب.

- **ولا يقبل إلا الطيب من الأموال،** والطيب من الأموال: ما اكتسب عن طريق حلال، وأما ما اكتسب عن طريق محرّم فإنه خبيث. عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ)). [٨]

- **ولا يقبل من الناس إلا الطيبين** وهم أهل الإيمان الذين طيبوا باطنهم بالإيمان وظاهرهم بالأعمال الصالحة.

وقد وصف الله سبحانه المؤمنين بالطيب، قال تعالى { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: ٣٢] **ويقال لهم عند دخول الجنة** { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر: ٧٣]

فَالْمُؤْمِنُ كُلُّهُ طَيِّبٌ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَجَسَدُهُ بِمَا سَكَنَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَظَهَرَ عَلَى لِسَانِهِ مِنَ الذِّكْرِ، وَعَلَى جَوَارِحِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ، وَدَاخِلَةٌ فِي اسْمِهِ فَهَذِهِ الطَّيِّبَاتُ كُلُّهَا يَقْبَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

---

[٨] رواه البخاري (١٤١٠) ومسلم (١٠١٤)

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَحْصُلُ بِهِ طِيبَةُ الْأَعْمَالِ لِلْمُؤْمِنِ طِيبُ مَطْعَمِهِ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ حَلاَلٍ، فَبِذَلِكَ يَزْكُو عَمَلُهُ. (٩)

- **وفيه** الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالا خالصا لا شبهة فيه وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره. (١٠)

- **وفيه** أن العبد إذا أنفق نفقة طيبة فهي التي تزكو وتنمو وأن الطعام اللذيذ غير المباح يكون وبالاً على آكله ولا يقبل الله عمله. (١١)

وقوله ((وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ١٧٢]

فيه فوائد:

١- **أن الأصل** استواء الأنبياء مع أممهم في الأحكام الشرعية، إلا ما قام الدليل على أنه مختص بهم. (١٢)

٢- تَعظيم ورفعة لشأن المؤمنين، وأنهم أهلٌ أن يوجّه إليهم ما أمر به الرسل. (١٣)

٣- استعمال ما يشجع على العمل، فإذا علم المؤمن أن هذا من مأمورات المرسلين فإنه يتقوَّى ويتشجّع على الامتثال.

---

(٩) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٦٠)

(١٠) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٠٠)

(١١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ٥٩)

(١٢) التحفة الربانية (ص: ٢٨)

(١٣) شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ١٤٢)

٤- وفيه ذم من امتنع عن الطيبات بدون سبب شرعي لأمر الله تعالى لأنبيائه وأوليائه بالأكل من الطيبات. (١٤)

ومما يدل على هذا المعنى حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: ((أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)). (١٥)

٥- يجب شكر نعم الله عزّ وجل بالعمل الصالح لقوله تعالى: (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً) وفي المؤمنين قال: (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّه).

وَقَوْلُهُ: ((ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!)).

فيه من الفوائد:

- التحري في المأكل والمشرب والملبس لأنّ ذلك له تأثير بالغ في قبول الأعمال وردها وخاصة الدعاء.

قال يحيى بن معاذ الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: الطاعةُ خزانةٌ مِنْ خزائنِ اللهِ، إلا أنَّ مفتاحَها الدعاءُ وأسنانَه لقمُ الحلالِ. (١٦)

وقد ورد عن سلفنا الصالح رحمهم الله، ما يدل على حرصهم على تلك المعاني السامية

قَالَ عمر رَضِي الله عَنهُ: كُنَّا نَدع تِسْعَة أعشار الْحَلَال مَخَافَة الْوُقُوع فِي الْحَرَام. (١٧)

---

(١٤) شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ١٤٧)

(١٥) رواه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١)

(١٦) إحياء علوم الدين (٢/ ٩١)

وعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ رحمه الله، قَالَ: لَا يَكُونُ الرَّجُلُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ مُحَاسَبَةَ شَرِيكِهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ وَمَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ. (١٨)

وقال وُهيب بن الورد رحمه الله: لو قمتَ مقامَ هذه الساريةِ لم ينفَعْكَ شيءٌ حتى تنظرَ ما يَدخلُ بطنَك حلالٌ أو حرامٌ. (١٩)

قَالَ عبد الله بن الْمُبَارك رحمه الله: لِأَن أرُدَّ دِرهماً من شُبْهَةٍ، أحبُّ إِلَيّ من أَن أَتصدق بِمِائَة ألف وَمِائَة. (٢٠)

- إثبات علو الله بدليل قوله ((يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ))

وهو ينقسم إلى قسمين:

الأول: علو صفة: وهذا متفق عليه بين جميع أهل القبلة، فصفات الله كلها عليا وحسنى.

الثاني: علو ذات. وهذا متفق عليه عند أهل السنة، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

- ذكرُ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْتَضِي إِجَابَةَ الدُّعَاءِ:

الدعاء روضة القلب، وأنس الروح؛ فهو صلة بين العبد وربه، يستجلب به الرحمة، ومن عظيم شأنه، وعلو مكانه، أن جعله رسول الله ﷺأصل العبادة ولبها، وإذا كان للدعاء هذه المكانة العظيمة؛ فإنّه ينبغي على العبد أن يأتي بالأسباب التي تجعله مقبولا عند الله تعالى، ومن جملة تلك الأسباب:

أَحَدُهَا: إِطَالَةُ السَّفَرِ

وَالسَّفَرُ بِمُجَرَّدِهِ يَقْتَضِي إِجَابَةَ الدُّعَاءِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: ((ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ)). (٢١)

---

(١٧) إحياء علوم الدين (٢/ ٩٥)

(١٨) الزهد لوكيع (ص: ٥٠١)

(١٩) صفة الصفوة (١/ ٤٢٢)

(٢٠) الكبائر للذهبي (ص: ١١٩)

وَالثَّانِي: حُصُولُ التَّبَذُّلِ فِي اللِّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ بِالشَّعَثِ وَالاِغْبِرَارِ

وَهُوَ - أَيْضًا - مِنَ الْمُقْتَضِيَاتِ لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وكلما كان العبد أخشع كان دعاؤه أسمع، كَمَا فِي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ)). (٢٢)

- وَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِلاِسْتِسْقَاءِ، خَرَجَ مُتَبَذِّلًا مُتَوَاضِعًا مُتَضَرِّعًا. (٢٣)

الثَّالِثُ: مَدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ

وَهُوَ مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ الَّتِي يُرْجَى بِسَبَبِهَا إِجَابَتُهُ، وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ الفارسي ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا)). (٢٤)

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الاِسْتِسْقَاءِ حَتَّى يَرَى بَيَاضَ إِبِطَيْهِ. (٢٥)

وَالرَّابِعُ: الْإِلْحَاحُ عَلَى اللَّهِ بِتَكْرِيرِ ذِكْرِ رُبُوبِيَّتِهِ

وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُطْلَبُ بِهِ إِجَابَةُ الدُّعَاءِ،. . . . . وَمَنْ تَأَمَّلَ الْأَدْعِيَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْقُرْآنِ وَجَدَهَا غَالِبًا تُفْتَتَحُ بِاسْمِ الرَّبِّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (الْبَقَرَةِ: ٢٠١)، {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا

---

(٢١) رواه أَبُو دَاوُدَ (١٥٣٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٨٢)

(٢٢) رواه مسلم (٢٦٢٢)

(٢٣) رواه أبو داود (١١٦٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤/ ٣٢٩)

(٢٤) رواه أبو داود (١٤٨٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٦٢)

(٢٥) رواه أبو داود (١١٧٠) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤/ ٣٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

طَاقَةَ لَنَا بِهِ} (الْبَقَرَةِ: ٢٨٦)، وَقَوْلِهِ: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} (آلِ عِمْرَانَ: ٨). وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ. (٢٦)

وَقَوْلُهُ ﷺ: " ((فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ))

مَعْنَاهُ: كَيْفَ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ فَهُوَ اسْتِفْهَامٌ وَقَعَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ وَالِاسْتِبْعَادِ، وَلَيْسَ صَرِيحًا فِي اسْتِحَالَةِ الِاسْتِجَابَةِ، وَمَنْعِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، فَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّوَسُّعَ فِي الْحَرَامِ وَالتَّغَذِّيَ بِهِ مِنْ جُمْلَةِ مَوَانِعِ الْإِجَابَةِ

وَلِهَذَا لَمَّا تَوَسَّلَ الَّذِينَ دَخَلُوا الْغَارَ، وَانْطَبَقَتِ الصَّخْرَةُ عَلَيْهِمْ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَخْلَصُوا فِيهَا لِلَّهِ تَعَالَى وَدَعَوُا اللَّهَ بِهَا، أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُمْ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا تَسْتَبْطِئِ الْإِجَابَةَ، وَقَدْ سَدَّدْتَ طُرُقَهَا بِالْمَعَاصِي، وَأَخَذَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ:

نَحْنُ نَدْعُو الْإِلَهَ فِي كُلِّ كَرْبٍ. . . ثُمَّ نَنْسَاهُ عِنْدَ كَشْفِ الْكُرُوبِ

كَيْفَ نَرْجُو إِجَابَةً لِدُعَاءٍ. . . قَدْ سَدَدْنَا طَرِيقَهَا بِالذُّنُوبِ(٢٧)

- موانع إجابة الدعاء:

١. تعاطي الحرام والتوسع فيه من الطعام والشراب واللباس. وقد دل على ذلك قوله ﷺ، ((فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ)).

٢. الاستعجال في طلب الإجابة. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي)). (٢٨)

---

(٢٦) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٦٩- ٢٧٤)

(٢٧) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧٧)

(٢٨) رواه البخاري (٦٣٤٠) ومسلم (٢٧٣٥)

٣. الدعاء بالإثم أو القطيعة. كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: ((لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ)). (٢٩)

٤. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ)). (٣٠)

٥- الاعتداء في الدعاء قال سبحانه{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥]

٦- الإشراك بالله في الدعاء، ودعاؤه بأدعية مبتدعة محدثة ليس لها أصل في الشرع مخالفة للسنة. فإن الدعاء يحبط بالشرك وإن الله لا يقبل عملا على غير وفق ما شرعه لعباده. فعن عَائِشَةُ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)). (٣١)

وأخيراً: فما أحوجنا إلى أن نقف مع أنفسنا وقفةً حازمة، نتحرّى فيها ما نأكله من طعام، أو نلبسه من لباس، حتى يكون الدعاء مقبولا عند الله، نسأل الله تعالى أن يغنينا بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبه عمّن سواه.

والحمد لله رب العالمين

(٢٩) رواه مسلم (٢٧٣٥)

(٣٠) رواه الترمذي (٢١٦٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ١١٨٩)

(٣١) رواه مسلم (١٧١٨)

المواســـاة

المواساة: تدلّ على المداواة والإصلاح؛ يقال: أسوت الجرح إذا داويته، ولذلك يسمّى الطّبيب الآسي. ويقال: آساه بماله: أناله منه وجعله فيه أسوة[١].

أنواع المواساة: قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُوَاسَاة لِلْمُؤمنِ أَنْوَاع؛ مواساة بِالْمَالِ ومواساة الجاه ومواساة بِالْبدنِ والخدمة ومواساة بِالنَّصِيحَةِ والإرشاد ومواساة بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَار لَهُم ومواساة بالتوجع لَهُم وعلى قدر الْإِيمَان تكون هَذِه الْمُوَاسَاة فَكلما ضعف الْإِيمَان ضعفت الْمُوَاسَاة وَكلما قوي قويت وَكَانَ رَسُول اللهﷺ أعظم النَّاس مواساة لأَصْحَابه بذلك كُله فلأتباعه من الْمُوَاسَاة بِحَسب اتّباعهم لَهُ. [٢]

فأما المواساة بالمال وإطعام الطعام فهي مقصودنا الآن؛ لأن الطعام حاجة من حاجات الإنسان الأساسية في هذه الحياة وقد جعل الله تعالى في الشريعة كثيرًا من الأمور التي تتعلق بإطعام الطعام فعلى سبيل المثال في كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين وفي الكفارة المغلظة إطعام ستين مسكينًا وفي مخالفات الإحرام إطعام ستة مساكين وفي هدي التمتع والقران ذبح أو نحر يطعم منه المساكين والفقراء وهذا فضلاً عن الزكاة المفروضة التي قال فيها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَاقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ جَعَلَ فِي الْأَمْوَالِ قَدْرًا يَحْتَمِلُ الْمُوَاسَاةَ، وَلَا يُجْحِفُ بِهَا، وَيَكْفِي الْمَسَاكِينَ، وَلَا يَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى شَيْءٍ، فَفَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَا يَكْفِي الْفُقَرَاءَ، فَوَقَعَ الظُّلْمُ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ، الْغَنِيُّ يَمْنَعُ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ، وَالْآخِذُ يَأْخُذُ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ، فَتَوَلَّدَ مِنْ بَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ ضَرَرٌ عَظِيمٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ، وَفَاقَةٌ شَدِيدَةٌ

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ١٣٨- ١٣٩). ولسان العرب (٨/ ٤٨٤٠). والصحاح (٦/ ٢٥٢٤). وتاج العروس (١٠/ ٣٩٠- ٣٩١) ومقاييس اللغة (١/ ١٠٧)، المفردات (١٨).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٧١).

أَوْجَبَتْ لَهُمْ أَنْوَاعَ الْحِيَلِ وَالْإِلْحَافَ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ تَوَلَّى قَسْمَ الصَّدَقَةِ بِنَفْسِهِ وَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ، يَجْمَعُهَا صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ.

أَحَدُهُمَا: مَنْ يَأْخُذُ لِحَاجَةٍ فَيَأْخُذُ بِحَسَبِ شِدَّةِ الْحَاجَةِ وَضَعْفِهَا وَكَثْرَتِهَا وَقِلَّتِهَا، وَهُمُ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، وَفِي الرِّقَابِ، وَابْنِ السَّبِيلِ.

وَالثَّانِي: مَنْ يَأْخُذُ لِمَنْفَعَتِهِ وَهُمُ الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا، وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ، وَالْغَارِمُونَ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَالْغُزَاةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْآخِذُ مُحْتَاجًا، وَلَا فِيهِ مَنْفَعَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَا سَهْمَ لَهُ فِي الزَّكَاةِ. . . .[٣].

ونبدأ بذكر فضل المواساة بالمال عموما وبالطعام خصوصًا.

- إطعام الطعام من صفات الأبرار الذين يدخلون الجنة

قال الله: {إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا (٩)}

وهو سبب من أعظم أسباب دخول الجنة؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: ((فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: ((فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: ((فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ))[٤] وفي لفظ: مَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ فِي رَجُلٍ فِي يَوْمٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٨).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ٧١٣)ح ((١٠٢٨).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺالمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺعَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ))(٥).

فيا من تخطب الجنة أين انت من مواساة المسلمين بالطعام وذلك من أول أرحامك إلى أقصى بقاع الأرض المسلمون يموتون جوعًا وفقرًا فضلاً عن موتهم قتلاً وحرقًا بالنار فإلى الله المشتكى فهل نواسيهم ولو بالتوجع لهم أو الدعاء إذا عجزنا عن إيصال الغذاء لهم. . . يا طلاب الجنة؛ اعلموا أن جزءًا كبيرًا من مهر من خطبتم يحصل بإطعام الطعام فابحثوا عن المحتاجين والجائعين وأطعموهم.

أمر النبي ﷺ بإطعام الجائع؛ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " فُكُّوا العَانِيَ، يَعْنِي: الأَسِيرَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ (٦)"

فَقَوْلُهُ أَطْعِمُوا الْجَائِعَ قَالَ الْكِرْمَانِيُّ الْأَمْرُ هُنَا لِلنَّدَبِ وَقَدْ يَكُونُ وَاجِبًا فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ (٧).

بيان النبي ﷺ أن البركة تنزل مع المواساة والاجتماع على الطعام؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ)) (٨)

وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ ((طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الِاثْنَيْنِ وَطَعَامُ الِاثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ))

---

(٥) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦٥٢) ح (٢٤٨٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(٦) صحيح البخاري (٤/ ٦٨)(٣٠٤٦).

(٧) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٥١٩)

(٨) صحيح البخاري (٧/ ٧١)(٥٣٩٢).

قال ابن بطال: يريد أنه ما أشبع اثنين يكفى ثلاثة رجال وما يشبع منه ثلاثة يكفى أربعة والكفاية ليست بالشبع كما أنها ليست بالغنى والإكثار، ، ألا ترى قول أبى حازم: ابن آدم إذا كان ما يكفيك لا يغنيك فليس شيء يغنيك. . . قال المهلب: والمراد بهذه الأحاديث الحض على المكارمة في الأكل والمواساة والإيثار على النفس الذى مدح الله به أصحاب نبيه، فقال: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ولا يراد بها معنى التساوي في الأكل والتشاح. . . وقد هم عمر بن الخطاب فى سنة مجاعة أن يجعل مع كل أهل بيت مثلهم وقال: لن يهلك أحد عن نصف قوته[٩].

وقال النووي: هَذَا فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْمُوَاسَاةِ فِي الطَّعَامِ وَأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَلِيلاً حَصَلَتْ مِنْهُ الْكِفَايَةُ الْمَقْصُودَةُ وَوَقَعَتْ فِيهِ بَرَكَةٌ تَعُمُّ الْحَاضِرِينَ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ[١٠]

ومن المواساة ان يسعى المسلم ببدنه وجاهه لقضاء حاجة أخيه المسلم

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَالِمًا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ))[١١]

يعني أنك إذا كنت في حاجة أخيك تقضيها وتساعده عليها؛ فإن الله تعالى يساعدك في حاجتك ويعينك عليها جزاءً وفاقاً؛ ويُفهم من ذلك أن الإنسان إذا ظلم أخاه؛ فإن أخوته ناقصة، وإذا أسلمه إلى من يظلمه؛ فإن أخوته ناقصة، وإذا لم يكن في حاجته، فإن هذا يفوته الخير العظيم، وهو كون الله تعالى في حاجته[١٢].

(٩) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٤٧١).
(١٠) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٣).
(١١) صحيح البخاري (٩/ ٢٢)(٦٩٥١).
(١٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٦٧).

حث النبي ﷺ على المواساة بالأرض؛ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانُوا يَزْرَعُونَهَا بِالثُّلُثِ وَالرُّبُعِ وَالنِّصْفِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ، فَلْيَزْرَعْهَا أَوْ لِيَمْنَحْهَا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلْيُمْسِكْ أَرْضَهُ))(١٣)

وأظهر النبي ﷺ أن العبد يجد ثواب المواساة عند الله في يوم يحتاج إليه؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي "(١٤)

وأمر بصنع الطعام لأهل الميت مواساة لهم؛ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-: "اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ" أَو "أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ"(١٥)

وهذه تعزية عملية مع القولية لا كلفة فيها على أهل الميت وإنما هي مساعد وتقوية لهم علة ما نزل بهم.

(١٣) صحيح البخاري (٣/ ١٠٧)(٢٣٤٠)

(١٤) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٠)ح ((٢٥٦٩).

(١٥) سنن أبي داود (ص: ٥)(٣١٣٢) وحسنه الألباني.

حث النبي ﷺ على المواساة بإعارة الشاة فما دونها عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السَّلُولِيِّ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاَهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الجَنَّةَ))(١٦)

(مَنِيحَةُ الْعَنْزِ) خَبَرُ الثَّانِي وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ الْأَوَّلِ وَالْعَنْزُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ النُّونِ الْأُنْثَى مِنَ الْمَعْزِ أَيْ عَطِيَّةُ شَاةٍ يُنْتَفَعُ بِلَبَنِهَا وَصُوفِهَا وَيُعِيدُهَا(١٧)

صور مشرقة في المواساة؛

١- لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة؛

عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبَّادَ بْنَ زَاهِرٍ أَبَا رُوَاعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: إِنَّا وَاللهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺفِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِّمُونِي بِهِ، عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ (١٨).

٢- ولنا في أصحابه أسوة حسنة؛ فقد أثنى النبي ﷺ على أبي بكر بمواساته له بماله وفضله على غيره؛ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ)) فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: ((يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ)) ثَلاَثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ

(١٦) صحيح البخاري (٣/ ١٦٦)(٢٦٣١).

(١٧) عون المعبود وحاشية ابن القيم (٥/ ٦٧)

(١٨) مسند أحمد ط الرسالة (١/ ٥٣٢) ح (٥٠٤) وحسنه الأرنؤط. .

كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي)) مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا(١٩)

٣-وكذلك الأنصار في مواساتهم للمهاجرين؛ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ أَتَاهُ المُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ كَفَوْنَا المُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي المَهْنَإِ حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَا مَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ))(٢٠).

٤- وما أروع ما أثنى النبي ﷺ على خديجة رضي الله عنها بعد موتها بسبب المواساة؛ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺإِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: " مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ "(٢١)

٥- وأما الأشعريون فقال عنهم النبي ﷺ هم مني وأنا منهم فلماذا قال ذلك؟ لقد لقد قال ذلك لأنهم يزاسي بعضهم بعضًا في الشدة فذلك من أخلاق النبي ﷺ عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ))(٢٢)

---

(١٩) صحيح البخاري (٥/ ٥)(٣٦٦١).

(٢٠) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦٥٣)(٢٤٨٧) وقال ﴿هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ﴾ وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢١) مسند أحمد ط الرسالة (٤١/ ٣٥٦)(٢٤٨٦٤) وقال الشيخ شعيب: حديث صحيح.

(٢٢) صحيح البخاري (٣/ ١٣٨)(٢٤٨٦)

قال ابن عثيمين: وهذا الحديث أصلٌ في الجمعيات التعاونية التي يفعلها بعض الناس اليوم، تجتمع القبيلة على أن يضعوا صندوقاً يجمعون فيه ما يريد الله عز وجلّ من المال؛ إما بالنسبة وإما بالاجتهاد والترشيح، فيكون مثلاً على كل واحد منهم أن يدفع اثنين في المائة من راتبه أو من كسبه أو ما أشبه ذلك، ويكون هذا الصندوق معداً للحوائج والنكبات التي تحصل على واحد منهم.

٦- وهذه صورة رائعة ابتدأها الأنصار وكافأهم النبي ﷺ فواساهم بالدعاء والاستغفار؛ عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَتِ الأَنْصَارُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَأَعْطَى قُرَيْشًا: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَهُوَ العَجَبُ، إِنَّ سُيُوفَنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ قُرَيْشٍ، وَغَنَائِمُنَا تُرَدُّ عَلَيْهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَدَعَا الأَنْصَارَ، قَالَ: فَقَالَ: ((مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ))، وَكَانُوا لاَ يَكْذِبُونَ، فَقَالُوا: هُوَ الَّذِي بَلَغَكَ، قَالَ: ((أَوَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالْغَنَائِمِ إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟ لَوْ سَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا، أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَهُمْ))(٢٣)

وهذه صورة من صور المواساة بالزاد والظهر أمر بها رسول الله ﷺ؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺإِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ))، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ(٢٤).

قال ابن عثيمين رحمه الله: يعني أن الإنسان يبذل كل ما عنده حتى لا يبقى معه فضل، يعني من الطعام والشراب والرحل وغير ذلك، وهذا كله من باب الإيثار. (٢٥)

والحمد لله رب العالمين

(٢٣) صحيح البخاري (٥/ ٣٠)(٣٧٧٨)

(٢٤) صحيح مسلم (٣/ ١٣٥٤)(١٧٢٨).

(٢٥) شرح رياض الصالحين (٣/ ٤٢٤).

نعمة الصحة وكيفية الحفاظ عليها

مما لا شك فيه أن الشريعة الإسلامية جمعت أصول الطب كلها، ففي القرآن والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بيان كثير من الأمراض النفسية والجسمية، وبيان علاجها المادي والروحي، قال الله تعالى{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: ٨٢].

وجمع الله تبارك وتعالى الطب النفسي وعلاجه كله في آية واحدة هي قوله تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: ٢٨]. (١)

وَلَمَّا كَانَتِ الصِّحَّةُ وَالْعَافِيَةُ مِنْ أَجَلِّ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ، وَأَجْزَلِ عَطَايَاهُ، وَأَوْفَرِ مِنَحِهِ، بَلِ الْعَافِيَةُ أَجَلُّ النِّعَمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَحَقِيقٌ لِمَنْ رُزِقَ حَظًّا مِنَ التَّوْفِيقِ مُرَاعَاتُهَا وَحِمَايَتُهَا عَمَّا ُضَادُّهَا. (٢)

ولا يماري أحد من العقلاء بأن الصحة نعمة من الله تعالى على عباده وأن الواجب شرعا المحافظة عليها من أي أذى. ولهذا شرع الله التداوي من الأمراض والأوبئة. (٣)

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ ". (٤)

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْمَوْتَ، وَالْهَرَمَ". (٥)

---

(١) دين الحق لعبد الرحمن بن حماد آل عمر (ص: ١٠٤).

(٢) الطب النبوي لابن القيم (ص: ١٥٩).

(٣) الأدلة والبراهين على حرمة التدخين (ص: ٥٢).

(٤) صحيح أخرجه أحمد في مسنده (٧/ ٣٨) رقم ٣٩٢٢، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم ١٦٥٠.

(٥) صحيح أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٣٩٨) رقم ١٨٤٥٥، والحميدي في مسنده (٢/ ٧٣) رقم ٨٤٥ وغيرهما وانظر صحيح الجامع (١/ ٥٦٥) رقم ٢٩٣٠.

نعم الله كثيرة لا تعد ولا تحصى

يقال شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما "الشباب والعافية"، وقيل: "لا يعرف طعم العافية إلا من نالته يد العلة ولا طعم الرخاء من مسته يد البلاء"، وقيل: "الدنيا بحذافيرها الأمن والعافية لا تزال غنيا ما دمت سويا". (٦)

أيها الصحيح إذا أردت أن تعرف قدر الصحة والعافية فأكثر من زيارة المرضى في المنازل والمستشفيات وقيل: "إن الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يعرفها إلا المرضى"، كم من مريض يتمنى أن يخطو بقدميه ليصلي مع الجماعة ويصل أرحامه ويزور إخوانه ولكنه لا يستطيع، كم من مريض انقطع عن الناس فهو لا يسمع ولا ينطق يتمنى سماع القرآن وترتيله، ولكنه لا يستطيع.

كم من مريض كف بصره، فهو يتمنى أن يرى مخلوقات الله وآياته، وكم من مريض يتمنى أن يأكل الطعام ويشرب الشراب ولكنه لا يستطيع، وكم من مريض لا تسكن أوجاعه، ولا يرتاح في منامه وغيرهم كثير.

أيها الصحيح هل نسيت هؤلاء فاتق الله في صحتك وعافيتك واشكر الله على نعمة القدمين واستخدمها في الذهاب للمساجد ولكل خير، واشكر الله على نعمة اللسان وأكثر فيه من تلاوة القرآن. (٧)

اعتلّ الفضل بن سهل رحمه الله بخراسان ثم برأ فجلس للناس، فهنأوه بالعافية وتصرّفوا في فنون الكلام، فلما فرغوا، أقبل على الناس، فقال: "إنّ في العلل نعما ينبغي للعاقل أن يعرفها: تمحيص الذنب والتعرّض للثواب، والإيقاظ من الغفلة والتذكير بالنعمة في حال الصحة، والاستدعاء للتوبة والحضّ على الصدقة. وفي قضاء الله وقدره الخيار". (٨)

---

(٦) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) (١/ ٥١٤).

(٧) موسوعة الكتيبات الإسلامية (٢٩٠/ ٣).

(٨) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١/ ٥١٤).

حث النبي ﷺ على عدم تضيع الصحة

أيها المسلمون، إنه إذا كان تتابعُ النعم، وترادُف المِنَنِ، وتعاقُب الآلاء، فَيْضًا من الربّ الكريم لا يَغِيض، وغَيْثًا مِدْرَارًا لا ينقطع، كما قال عز من قائل: {وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: ٣٤]. فكم ممن مَتّعه الله بسمعه وبصره وقوته، وحفظ عليه نُضْرَة الشباب ورَوْنَقَه وبهاءه، مَغْبُونٌ في صحته حين لا يستعملها فيما يبلّغه رضوان ربه الأعلى ونزول دار كرامته، وحين لا يستثمرها في كل ما يسعد به في دنياه وآخرته، وحين ينسى أن آفة النعم الزوال؟ فكم من صحيح لا يشكو من عِلّة في نفسه أو جسمه نزل به السَّقَامُ، ووَهَنَتْه الأمراضُ، وأقضّت مضجعَه العِللُ فسعت به إلى شيخوخة مبكّرة، وعِلّة مُسْتَحْكِمة، أو داءٍ حائل بينه وبين ما يشتهي من متع الحياة الأثيرة لديه، المُذَلّلة المبذولة بين يديه، فإن كان ممن أبلى شبابه، وأفنى عمره، واستنفد قوته فيما يحرم من الشهوات والنزوات، وما يُحَقَّر من الأعمال وما يُستقبَح من الغايات، ولم يبتغ إلى ربه الوسيلة بما يرضيه، ولم يدّخر عنده من الرصيد ما يسعد به حين يلقاه؛ غُبِنَ هنالك غَبْنًا أورثه حسرة، وأعقبه ندامة؛ لتفويته الفرصة، وإضاعته المَغْنَم، وتَبْدِيده الأرباح. (٩)

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ". (١٠)

يقول الرسول ﷺ " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ ". (١١)

لماذا كان مغبونًا؟ لأنه لم يستفد من صحته وفراغه بما يقربه إلى الله والدار الآخرة.

---

(٩) موسوعة خطب المنبر (ص: ٤٣١٦).

(١٠) صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤٧) رقم ٧٩٢٧ وقال " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "، وانظر صحيح الجامع للألباني (١/ ٢٤٣) رقم ١٠٧٧.

(١١) صحيح البخاري (٨/ ٨٨) رقم ٦٤١٢ من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

أيها الصحيح: هذه الصحة والعافية سوف تسأل عنها يوم القيامة، يقول النبي ﷺ "لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ". (١٢)، فاجعل هذه الصحة عونًا لك على طاعة الله.

سبل المحافظة على الصحة

لقد كرم الله عز وجل بني الإنسان على كثير من مخلوقاته، فقال تعالى{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء: ٧٠].

ولقد وضعت الشريعة الإسلامية الضوابط والوسائل التي يحمي بها الإنسان صحته من كافة الأخطار والأضرار والأمراض التي قد تحدث له وهذه بعض هذه الوسائل:

١- النظافة من أهم الأسباب التي تحفظ الإنسان من الأمراض، لأن الأمراض أكثر ما تنتشر بين الناس بسبب الأوساخ والأقذار، وقد شرع لنا الإسلام الوضوء خمس مرات، والغسل من الجنابة وغيره، وسن لنا النبي ﷺ خصال الفطرة وهي " الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الآباط".

فتنظيف الجسم، وهذه الأعضاء التي تتعرض للوسخ كثيراً عدة مرات كل يوم يجعل الجسم حصيناً من الأمراض.

٢- فرض الحجر الصحي في حالات الأمراض المعدية، وذلك مبالغة في حماية الصحة العامة فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا". (١٣)

وقد حث النبي ﷺ أيضاً على اجتناب المصابين بالأمراض المعدية فقال: "لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ". (١٤)

---

(١٢) صحيح أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ١٩٠) رقم ٢٤١٧ وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُرَيْجٍ هُوَ بَصْرِيٌّ، وَهُوَ مَوْلَى أَبِي بَرْزَةَ، وَأَبُو بَرْزَةَ اسْمُهُ: نَضْلَةُ بْنُ عُبَيْدٍ. ، والدارمي في سننه (١/ ١٤٤) رقم ٥٣٧، وانظر السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٢٩) رقم ٩٤٦.

(١٣) صحيح البخاري (٧/ ١٣٠) رقم ٥٧٢٨ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

٣- من القواعد الصحية السديدة التي وضعها الإسلام أيضاً قاعدة الاعتدال وعدم الإسراف، ففيما يتعلق بتناول الطعام قال تبارك وتعالى {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الأعراف: ٣١]، عَنْ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ". (١٥)

وقال النَّبِيِّ ﷺ: "إِنَّ المُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ". (١٦) فالاعتدال في الطعام والشراب طريق من الطرق الموصلة إلى سلامة الإنسان من الأسقام.

وقد وصف الله ذوي الشراهة في التهام الأطعمة بأنهم يأكلون كما تأكل الأنعام، فقال تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} [محمد: ١٢].

وهذا وصف أراد الله تعالى به أن يذكر الناس بمصير من يأكل كما تأكل الأنعام وهو الغباء والغفلة والحرمان من فهم حقيقة الحياة.

٤- إعطاء الجسم حقه في النوم، وعدم الاجهاد والسهر، وممارسة الرياضة والمواظبة عليها، لتنشيط الجسم، وكلٌ حسب قدرته وعمره.

٥- كذلك من وسائل الحفاظ على الصحة غسل الإناء إذا شرب الكلب فيه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا شَرِبَ الكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا". (١٧)

وفي لفظ "وَعَفِّرُوهُ الثَّامِنَةَ فِي التُّرَابِ"، وذلك لما ينقله لعاب الكلب من الأمراض. (١٨)

---

(١٤) صحيح البخاري (٧/ ١٢٦) رقم ٥٧٠٧ معلقاً.

(١٥) صحيح أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ١٦٨) رقم ٢٣٨٠، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٦٨) رقم ٦٧٣٧ وغيرهما وانظر السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٣٦) رقم ٢٢٦٥للألباني.

(١٦) صحيح البخاري (٧/ ٧٢) رقم ٥٣٩٧ من حديث أبي هريرة.

(١٧) صحيح البخاري (١/ ٤٥) رقم ١٧٢و صحيح مسلم (١/ ٢٣٤) رقم ٩٠ (٢٧٩).

(١٨) انظر مجلة مجمع الفقه الإسلامي (١٣/ ٣٣١)، ومجلة الرسالة (٩٩٧/ ٤٣)، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي للدكتور مُصطفى الخِنْ، والدكتور مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي (١/ ٢٩).

٦- الابتعاد عن الغضب والمشادّات والهم والغم والحزن وترويض النفس على الحلم والتحمل والصبر واحتساب الأجر وتقبل ما ينتج عن كبر السن صحيًا بنفس راضية بقدر الله. (١٩)

٧- حسن التعامل مع الجميع والتحلي بالأخلاق الفاضلة والبشاشة وسلامة الصدر ومحبة خدمة الآخرين.

٦- الابتعاد عن خطر المخدرات والمسكرات والتدخين

ولأهمية هذا العنصر سنفرد الكلام عنه.

وقفة مع أضرار المخدرات والمسكرات

أيها المسلمون: إن للمسكرات والمخدرات مضاراً كثيرة، أثبتها الطب العصري، وأكدتها تجارب المجتمعات، وذكروا فيها أكثر من مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن الحشيشة حرام يحد متناولها كما يحد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تخنث ودياثه وغير ذلك من الفساد، وإنها تصد عن ذكر الله". (٢٠)

ومن أعظم مضار المسكرات والمخدرات: أنها تفسد العقل والمزاج، وما قيمة المرء إذا فسد عقله ومزاجه؟! يتعاطى المسكرات والمخدرات، فيرتكب من الآثام والخطايا ما تضج منه الأرجاء، وما يندم عليه حين يصحو، ولات ساعة مندم!

ولقد روى القرطبي رحمه الله في تفسيره: أن أحد السكارى جعل يبول ويأخذ بوله بيديه ويغسل به وجهه وهو يقول: "اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين". (٢١)

وقال الضحاك بن مزاحم رحمه الله لبعض أصحابه: "مالك ولشرب النبيذ؟ قال: يهضم طعامي، قال: والله لما يهضم من عقلك ودينك أكثر". (٢٢)

---

(١٩) هذه الفوائد مقتبسة من موسوعة الكتيبات الإسلامية (٣١/ ١٤).

(٢٠) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٣٩) لابن تيمية بتصرف.

(٢١) تفسير القرطبي (٣/ ٥٧) بتصرف.

وقال الحسن البصري رحمه الله: "لو كان العقل يشترى لتغالى الناس في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده". (٢٣)

أيها الناس: في بلاد المسلمين كثرت حوادث المخدرات من مروجين ومدمنين، وكثرت الجرائم بتعاطيها، وأصبحت مكافحة المخدرات قضية تشغل الحكومات المختلفة، وكل هذا يتم في غياب وازع الإيمان والدين والتقوى، فاتقوا الله أيها المسلمون، واتقوا المسكرات والمخدرات، واتقوا الخمر فإنها أم الخبائث.

وعن عُثْمَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: " اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلاَ قَبْلَكُمْ تَعَبَّدَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلاَمٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْسًا، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلاَمَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا، قَالَ: زِيدُونِي فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ، وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ". (٢٤)

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: ٩٠-٩١].

---

(٢٢) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور لأبي اسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم (المتوفى: نحو ٤٢٥هـ) (ص: ١١٥).

(٢٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٥/ ١٧).

(٢٤) صحيح موقوفاً أخرجه النسائي في سننه (٨/ ٣١٥) رقم ٥٦٦٦، وعبد الرزاق في مصنفه (٩/ ٢٣٦) رقم ١٧٠٦٠ وغيرهما وانظر التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٨/ ٢٢) للألباني.

عقوبات شارب الخمر

العقوبة الدنيوية

لقد وضعت الشريعة الإسلامية عقوبة لشارب الخمر فهناك عقوبة دنيوية وهي أن يجلد ثمانين جلدة، ويحد شاربها وإن لم يسكر، سواءً أشرب الكثير أم القليل بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم، وإذا تكرر من الشارب الشرب وهو يعاقب ولا يرتدع، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا حَدُّ الشُّرْبِ: فَإِنَّهُ ثَابِتٌ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ رَوَى أَهْلُ السُّنَنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وُجُوهٍ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ ثُمَّ إنْ شَرِبَ فَاجْلِدُوهُ ثُمَّ إنْ شَرِبَ فَاجْلِدُوهُ ثُمَّ إنْ شَرِبَ الرَّابِعَةَ فَاقْتُلُوهُ" وَثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ جَلَدَ الشَّارِبَ غَيْرَ مَرَّةٍ هُوَ وَخُلَفَاؤُهُ وَالْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ. وَالْقَتْلُ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ مَنْسُوخٌ. وَقِيلَ: هُوَ مُحْكَمٌ. يُقَالُ: هُوَ تَعْزِيرٌ يَفْعَلُهُ الْإِمَامُ عِنْدَ الْحَاجَةِ. وَقَدْ ثَبَتَ "عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ضَرَبَ فِي الْخَمْرِ بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ أَرْبَعِينَ. وَضَرَبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْبَعِينَ وَضَرَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ ثَمَانِينَ. وَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَضْرِبُ مَرَّةً أَرْبَعِينَ وَمَرَّةً ثَمَانِينَ". فَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَقُولُ: يَجِبُ ضَرْبُ الثَّمَانِينَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْوَاجِبُ أَرْبَعُونَ وَالزِّيَادَةُ يَفْعَلُهَا الْإِمَامُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إذَا أَدْمَنَ النَّاسُ الْخَمْرَ. أَوْ كَانَ الشَّارِبُ مِمَّنْ لَا يَرْتَدِعُ بِدُونِهَا. (٢٥)

وهذا عين الفقه؛ لأن الصائل على الأموال إذا لم يندفع إلا بالقتل قتل، فما بالكم بالصائل على أخلاق المجتمع وصلاحه وفلاحه.

وأما العقوبة الأخروية

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ". (٢٦)

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ". (٢٧)

---

(٢٥) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٣٦).

(٢٦) صحيح أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ٣٢٦) رقم ٣٦٧٤، وأحمد في المسند (١٠/ ٩) رقم ٥٧١٦، وغيرهما، وانظر صحيح الجامع الصغير (٢/ ٩٠٧) رقم ٥٠٩١.

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ، وَجَيْشَانُ مِنَ الْيَمَنِ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذُّرَةِ، يُقَالُ لَهُ: الْمِزْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَوَ مُسْكِرٌ هُوَ؟ "قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ "قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: "عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ "أَوْ "عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ". (٢٨)

فهذه عقوبة الدنيا وهذه عقوبة الآخرة فيا تُرى من يستطيع أن يتحمل هذه العقوبة ويهدر صحته ويضيع عمره وماله في مثل هذه المسكرات. (٢٩)

انتبه فإن الموت قادم

أيها الأصحاء والمرضى: تذكروا أن أعمارنا في هذه الدنيا قصيرة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ". ، ولا خير أصلاً في طول العمل إلا إذا كان على طاعة الله. (٣٠)

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: "مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ". ، وقد استعاذ عليه الصلاة والسلام أن يرد إلى أرذل العمر. (٣١)

أيها الأصحاء والمرضى: تذكروا أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ولهذا فهي مليئة بالمصائب والأكدار والأحزان والأمراض والحوادث؛ قال تعالى: { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } [البقرة: ١٥٥]، وقال: { لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ } [البلد: ٣]. لذا فإن الجزع لا يفيد؛ بل يضاعف المصيبة ويفوت الأجر ويعرض المصاب للإثم.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه "إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور". (٣٢)

---

(٢٧) صحيح البخاري (٧/ ١٠٤) رقم ٥٥٧٥ صحيح مسلم (٣/ ١٥٨٨) رقم ٧٦ - (٢٠٠٣).

(٢٨) صحيح مسلم (٣/ ١٥٨٧) رقم ٧٢ (٢٠٠٢).

(٢٩) دروس للشيخ سعود الشريم (٩/ ٢).

(٣٠) صحيح أخرجه الترمذي(٣٥٥٠)، وابن ماجة (٤٢٣٦) وانظر الصحيحة (٧٥٧).

(٣١) صحيح أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٢٩)، وصححه الألباني في الصحيحة(١٨٣٦).

يقول معاوية بن قرّة رحمه الله " أشدّ الناس حسابا الصحيح الفارغ".

ويقول سفيان بن عيينة رحمه الله "من تمام النعمة طول الحياة في الصحة والأمن والسرور".

ويقول ابن السماك رحمه الله "النعمة من الله على عبده مجهولة فإذا فقدت عُرفت".

وقيل "من لم يشكر الله على النعمة فقد استدعى زوالها". (٣٣)

والحمد لله رب العالمين

(٣٢) الرضا لابن أبي الدنيا (٢٩)، والتعازي لأبي الحسن المدائني (ص: ٨٢).

(٣٣) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار لمحمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب (ت: ٩٤٠هـ) (ص: ٢٦٤).

قطوف من بستان الواعظين

صناعة الخطبة

إنّ من رحمة الله تعالى بهذه الأمة – التي شاء أن تكون خير أمّة أخرجت للنّاس– أن شرع لها ما يحفظ دينها في واقعها، ويثبت عقيدتها في أفرادها، ويجدد رسالتها في أجيالها، وينشر العلم بأحكامها، ويبث الوعي بقضاياها.

وإنّ من جملة تلك التشريعات تشريع خطبة وصلاة الجمعة التي تعد بمثابة صمام الأمان للحفاظ على التذكير والتواصل مع المجتمع المسلم بجميع أفراده، سواء في مجال إحياء إيمانه، أو حسن صلته بربه، أو تنظيم علاقته بالحياة والأحياء من حوله، وللجمعة في الإسلام مكانة كبيرة فهي من فروض الأعيان، وهي إحدى شعائر الإسلام العظام.[١]

ونعرض في هذه السطور لفن صناعة الخطبة في إشارات خفيفة علها أن تكون عونا لإخواننا الدعاة والخطباء.

المعنى الاصطلاحي للخطبة: هي ما يُلقى من الكلام المتوالي الواعظ باللغة العربية قبيل صلاة الجمعة بعد دخول وقتها بنية جهرًا قيامًا مع القدرة على عدد يتحقق بهم المقصود.[٢]

خطوات التحضير والصياغة للخطبة:

١– تحري الإخلاص لله. تعالى. في كتابته، واستحضار النية الخالصة، ومجاهدة النفس في ذلك؛ فلا تعجبه نفسه أثناء الكتابة، أو يتذكر مدح المصلين له، وماذا سيقولون عن خطبته؛ فإنه إن أخلص لله. تعالى. بارك الله في كتابته وجهده، ونفع به الأمة.

٢ – الاستعداد النفسي والبدني، وتفريغ الذهن، وتوحيد الهَمِّ، والتركيز فيما سيلقيه على عباد الله.

(١)أهمية الخطبة ودورها في المجتمع المسلم

(٢)انظر: خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية، د. عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله الحجيلان

٣- أن يعيش مع الخطبة بقلبه، ويضع نفسه محل السامع؛ أي كأنه المخاطَب بهذه الخطبة؛ لأن ذلك سيجعله يختار العبارات التي يرضاها ويحبها وتقنعه؛ فمثلاً لو كان يوجه نصيحة لواقعٍ في معصية معينة؛ فليضع نفسه مكان صاحب هذه المعصية، وكأنه المخاطَب بهذا الخطاب؛ فذلك أدعى للتأثر، وأجود في انتقاء الألفاظ المناسبة.

٤- طريقة بناء الخطبة:

تبنى الخطبة من ثلاثة أجزاء: المقدمة، الموضوع، الخاتمة.

وهذه الأجزاء الثلاثة متداخلة، متناسقة، يبلغ بها حد الجودة مقدرة الخطيب، وغزارة علمه، والانتظام في هذه الأجزاء، يجعل الخطبة واضحة المقاصد، وتضمن للمتحدث حسن الإصغاء من سامعيه.

الجزء الأول: المقدمة

هي أول ما يلقيه الخطيب على جمهوره، فإذا فاجأهم بحسن المقدمة، استطاع متابعة جمال خطبته معهم؛ فعلى الخطيب أن يعتني بمقدمته، بأن يأتي بالعبارة السهلة، التي توحي لسامعه بمقصود الخطبة، مما يشد الانتباه ويهيئ النفوس، وقد يكون بآيات قرآنية زاجرة، أو مرغبة.

الجزء الثاني: الموضوع والعرض

إن استغنى الخطيب أحيانا عن المقدمة، أو عن الخاتمة، فلا يستطيع أن يستغني عن عرض الموضوع؛ لأنه هو الخطبة ذاتها أيا كان نوعها، وهو مقصود الخطبة الأعظم، ويجوز ذكر موضوع الخطبة بداية، ولكن الأولى التدرج في تناول الموضوع، تناولا غير مباشر، متسلسلا، إلى أن يصل إلى مبتغاه.

ضوابط مهمة في اختيار الموضوع:

- قبل أن تبدأ في اختيار الموضوع ادعُ الله أن يوفقك وأن يختار لك ما فيه الخير.

- أن يكون موضوعك مناسباً للتحدث فيه وأن يكون مما يحتاجه الناس، وأن يكون مناسباً لنوعية الحضور، وواقع الناس.

– مما يعين الخطيب على حسن اختيار الموضوع توافر الصفات الأساسية من الفقه في الدين والعمل به، والثقة بالنفس والاستشارة لأهل العلم والخبرة. ولا يعني اختيار الموضوع ألا يتجاوز الخطيب موضوع الخطبة إلى غيره، ولا سيما عند وجود ما يستدعي ذلك من الحوادث العارضة.

- اختيار العنوان الجذاب للموضوع الذي تختاره تحدد من خلاله الفكرة الرئيسة للموضوع دون إبراز الفرعيات. حيث لا يزيد عدد كلمات العنوان عن (ثلاث كلمات).

صياغة الموضوع وعرضه

يتم ذلك من خلال:

– وضع العناصر الأساسية والفرعية.

– تحديد مصادر الخطبة وتوثيق المعلومات ونسبة الأقوال إلى أصحابها.

– جمع الآيات في هذا الموضوع، ومراجعة تفسيرها من التفاسير المعتمَدة عند أهل السنة.

– جمع الأحاديث في الموضوع، وتخريجها تخريجًا مُخْتَصَرًا، ومعرفة الصحيح منَ الضعيف؛ المقبول منها والمردود، فلا يلقي على المسلمين إلا الأحاديث المقبولة، ويتجنَّب المردود إلا لبيان ضعفه.

– جمع الآثار السلفية، والعبارات الذهبية، والانتقاء من أطايب كلامهم.

– جمع الأمثلة والمواقف العملية والنماذج الحية التي تترجم الموضوع ترجمة حية؛ ليرتبط العلم بالعمل؛ فَهُما – العلم والعمل – وجهان لعملة واحدة، ولا ينفصلان في دين الله – تبارك وتعالى.

– مراجعة معجم اللغة العربية؛ كـ"لسان العرب"، و"القاموس المحيط"، و"مختار الصحاح" و"المعجم الوسيط". . .

– إذا أشكلت عليك بعض الكلمات أو الجمل من جهة إعرابها، أو صرفها، أو دلالتها على المعنى الذي تريده، أو كونها غير فصيحة فلك خياران:

الأول: الرجوع إلى المعاجم اللغوية للتأكد من صحة الكلمة، ومناسبتها للمعنى الذي أراده، أو سؤال من يعلم ذلك من أهل اللغة والنحو.

الثاني: استبدال الكلمة أو الجملة التي يشك فيها بكلمة، أو جملة أخرى يعلم صحتها، واللغة العربية غنية بالمترادفات من الكلمات والجمل.

ولعل الأولى الطريقة الأولى؛ لكي ينمِّي الخطيب مهاراته اللغوية، وتزداد حصيلته من الكلمات والجمل.

– إذا كتبت الخطبة فاعتنِ بعلامات الترقيم، وبداية الجمل ونهايتها؛ حتى يعينك ذلك على قراءة الخطبة بشكل صحيح، وعدم التعتعة والإعادة، وكثرة التوقف والتلكؤ.

– إن كان الخطيب يتحدث عن مشكلة ما، فلا بد أن يبينَ مظاهرها في الواقع، وأن يذكر أسبابها، وأن يعرضَ الحل المناسب، ويُفَصِّل فيه بطريقة عملية مناسبة؛ فهو المقصود.

– حدد الفترة المناسبة للخطبة، ووزع عناصر الموضوع على الزمن المحدد ولا تعده.

– إنْ أحسّ الخطيب أن القلم لا يجاريه في الكتابة، وأن أفكاره مشتتة، وذهنه مشوَّش فليتوقف عن الكتابة حتى يزيل ما يشغله أو ينساه، ثم يعود إليها مرة أخرى.

– احفظ خطبتك إن استطعت، وإن لم تستطع فاحفظ العناصر والأدلة وأوجه الدلالة.

– تدرب على الخطبة؛ فألقها على بعض المتخصصين أو بعض أصدقائك أو أهل بيتك.

– اجمع الملاحظات وصوب الأخطاء التي وقعت فيها.

الجزء الثالث: الخاتمة

ويحسن أن تتصف الخاتمة بما يلي:

- ألا تكون بعيدة عن موضوع الخطبة؛ لأنها امتداد له.
- إيجاز أهم ما ورد في الخطبة.
- أن يذكر فيها المطلوب من السامعين حيال الموضوع الذي طرحه.

مواصفات الخطبة الناجحة وعوامل تأثيرها

١- أن تكون نِتَاج إعداد متقن من حيث المضمون والشكل.

٢- وحدة الموضوع وترابطه، وتسلسل الأفكار

٣- التدرج في العرض من الأهم فالمهم، ومن العام إلى الخاص. . .

٤- معالجة قضايا الواقع وما يشغل هموم الناس

٥- اعتدال الخطبة فلا تكون طويلة مملة ولا قصيرة مخلة

٦- أن يضبط الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ضبطا دقيقا حتى لا يقع الغلط والتصحيف.

٧- أن يتجنب السجع المتكلف، فإنه إذا كثر وكان عن تكلف كان ثقيلا على الأسماع مانعا من حسن الاستماع.

٨- أن يختار الأسلوب السهل الواضح ما أمكن مع القوة والجزالة، وذلك لأن أكثر مستمعيه هم من العامة، أو من متوسطي الثقافة غالبا، لذلك قالوا: رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير اللفظ.

٩- الاهتمام باللغة، ومن الأمور التي تجعل لغة الخطبة أكثر جلاء، وأشد قبولا لدى المستمعين:

أ) تجنب الألفاظ العامية الساقطة، والكلمات المرذوله، فإن مقام المنبر ينبغي أن ينزه عن كلام السوقة، والأسواق.

ب) إعادة الكلام إذا رأى الحاجة لذلك، كأن يكون معظم الحضور من العامة، أو بعض الأفكار تحتاج إلى إعادة لعدم وضوحها، أو لأهميتها.

جـ)استخدام الجمل القصيرة التي يقل فيها استخدام الروابط؛ لئلا يلقى المستمعون عنتًا في متابعة الأفكار.

١٠- ضبط نبرة الصوت والحركة

فمما يساعد على قوة لغة الخطيب، ووضوح موضوعه، وجلاء عرضه لفكرته نبرة صوته وحركة يده، فعلى الخطيب أن يراعي لذلك الأمور التالية بالنسبة للصوت:

أ – وضوح الصوت، وعلوه في اعتدال. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين. . .). [٣]

فعلى الخطيب مراعاة الاعتدال في علو صوته، ومراعاة حاجة المكان والجمع مع عدم الإسراع في إلقائه.

ب – تغيير نبرة الصوت من وقت لآخر فإن في هذا تنشيطا لنفسه ولسامعيه، وإعطاء للجمل حقها من الاهتمام.

جـ – أن يتهيأ قبل الخطبة فيبعد عما يؤثر على صوته، فلا يأكل طعاما أو يشرب شرابا يذهب بقوة صوته، أو يجعله يحشرج إذا تكلم.

د – الإقلال من التنحنح في أثناء الخطبة، أو بلع الريق، أو انقطاع النفس، فإنها تشغل المتكلم والسامع معا.

هـ – حسن الوقوف في موطن الوقوف والبدء في موقع البدء.

و – تجنب عيوب اللسان ما استطاع كالفأفأة، واللثغة، والصفير، والتعتعة، ونحو ذلك، فإذا لمس من نفسه شيئا من ذلك فليتجنب الألفاظ، والكلمات التي توقعه فيه.

ز – ثبات الصوت بحيث لا يبدو للأسماع مرتجا متلجلجا شأن الخائف أو القلق والمضطرب، أو يبدو عليه الارتباك والخجل.

١١– أما بالنسبة لحركة الخطيب على المنبر، فيراعى فيها الأمور التالية:

أ) أن يكون وقوف الخطيب ثابتا، يظهر عليه سيما المهابة، والوقار، والشعور بالثقة.

ب) ألا يكثر من الالتفات أو حركة اليد، أو الرأس، أو الجسم.

جـ) تناسب حركة اليد، والإشارة مع الألفاظ والكلمات.

أغراض خطبة الجمعة

ذكر العلماء بعض الأغراض لخطبة الجمعة، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١ – الوصية بتقوى الله تعالى والأمر بطاعته والزجر عن معصيته.

---

[٣] رواه مسلم (الجمعة ٨٦٧).

٢- ترسيخ أصول الإيمان وتقويته في القلوب وتثبيت العقيدة الصحيحة.

٣- الدعوة إلى الصلاح والإصلاح والتمسك بأمور الشريعة وإقامة الحق، والعدل والحث على مراعاة وحدة هذه الأمة والتحذير مما يضعفها.

٤- توضيح العبادات والأحكام وتفصيل الحلال والحرام، وتفقيه المسلمين وتعليمهم حقائق دينهم.

٥- التذكير عند المناسبات الشرعية مثل رمضان والحج ونحوهما.

٦- تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام ورد الشبهات التي يثيرها أعداؤه للصد عنه، وذلك بأسلوب بليغ وبرهان ساطع حكيم بعيدا عن المهاترات والسباب والتشهير.

٧- الحث على لزوم السنة والتأسي بأهلها والتحذير من البدعة والزجر عنها. .

صفة الخطبة:

١- السلام على الناس قبل الخطبة.

٢- الحمد لله والثناء عليه، والشهادتين.

٣- الصلاة على النبي ﷺ.

٤- الوصية بتقوى الله تعالى وتذكير الناس بما أراد بيانه لهم في الخطبة.

٥- قراءة آيات من القرآن الكريم في الخطبة.

٦- الدعاء للمسلمين والمسلمات عامة ولولاة أمرهم خاصة كما هو منهج السلف الصالح، مع مراعاة الإجمال في الدعاء وعدم التخصيص بذكر الأسماء، لا سيما ما يسبب الإثارة والفتنة.

كيف كانت خطب النبي ﷺ؟

يقول ابن القيم رحمه الله: " كانت خطبته صلى الله عليه وسلم، إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيمانا وتوحيدا، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أمورا مشتركة بين الخلائق، وهي النوح على الحياة، والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيمانا

بالله، ولا توحيدا له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيرا بأيامه، ولا بعثا للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون، وتقسم أموالهم، ويبلي التراب أجسامهم، فيا ليت شعري أي إيمان حصل بهذا؟! وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به؟.

ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره، وذكره ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم "[٤]

أخطاء يقع فيها بعض الخطباء

هناك بعض الأخطاء التي يقع فيها بعض الخطباء تخل بمقاصد الخطبة يجب على الخطيب تجنبها

١- الإطالة المملة والاستطراد في الخطبة وجمع أكثر من موضوع في الخطبة الواحدة فالتطويل ذريعة للملل المانع من التفاعل والاستيعاب والفهم.

٢- التقريع وفظاظة القول والاتهام الموجه للسامعين أو لأشخاص بأعيانهم.

٣- اللحن في الكلام واستعمال اللهجة العامية أو تكلف السجع.

٤- التشدق في القول والتقعر في الكلام.

٥- الخوض في أمور لا يستفيد منها العامة، وليس من المصلحة الحديث عنها.

٦- العجلة في الإلقاء، فإن النطق السريع المتعجل يفقد المتابعة فيختلط الكلام بعضه ببعض وتلتبس العبارات ببعضها.

٧- الخوض فيما لا يعلم، فإن هذا موقع في الارتباك فتضيع الهيبة والوقار وينفر منه الناس.

---

[٤] زاد المعاد (١/ ٤٠٩)

٨- مخاطبة الناس بما لا يعرفون والخوض في الفروع والخلافات المذهبية والاتجاهات الفكرية ودقائق العلوم والمعارف وتفاصيلها.

٩- أن يبني الخطيب خطبته على نص (حديث، أثر، قصة، سبب نزول. .) ضعيف أو لم يتحقق من ثبوته. [٥]

والحمد لله رب العالمين

[٥] مراجع الموضوع: منهج في إعداد خطبة الجمعة، للدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، خطباؤنا هل يحسنون اختيار موضوعاتهم؟ د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، خطبة الجمعة دراسة دعوية؛ سليمان بن عبدالله بن منصور الحبس، فن تحضير المواضيع، كيف تُعَدُّ خطبة الجمعة؟! إبراهيم بن محمد الحقيل، مجلة البيان، خطب الجمعة ومسؤوليات الخطباء، طريقة مختصرة في تحضير الخطبة، أ. رضا جمال، عناصر الخطبة، وطريقة بنائها، أحمد عبد السلام

قطوف من بستان الواعظين

وقفة مع كتاب

إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي

فأبو حامد الغزالي هو محمد بن أحمد الطوسي الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥هـ.

صاحب التصانيف الكثيرة في الفقه، والأصول، والفلسفة، والكلام، والتصوف، وقد مر رحمه الله بمراحل كثيرة وأطوار متعددة، وعكف في نهاية حياته على دراسة الحديث، فنسأل الله أن يرزقنا الهداية وحسن الخاتمة.

وقد تباينت أقوال الباحثين في حكمهم على الغزالي وتقييم أفكاره ومؤلفاته، ولعل من أسباب ذلك اضطراب الغزالي في عرض أفكاره، وكثرة تنقله من حال إلى حال.

وكذلك كان الحال بالنسبة إلى كتابه إحياء علوم الدين، فقد مدحه قوم حتى غلو في مدحه وقالوا: من لم يقرأ الإحياء فليس من الأحياء، وذمه قوم حتى أفتوا بحرقه ومنعه.

والحق أن كتاب الإحياء فيه نفع كثير، وفيه طامات وبلايا توجب منع قراءته، إلا من الخبير المطلع على عقائد الصوفية والحلولية والفلاسفة، المتحصن بعقيدة السلف الصالح.

وما فيه من الخير موجود في غيره من الكتب، ككتاب: مختصر منهاج القاصدين للمقدسي، وأصله لابن الجوزي الذي اختصره من إحياء علوم الدين، وقال في أوله (فاعلم أن في كتاب "الإحياء" آفات لا يعلمها إلا العلماء، وأقلها الأحاديث الباطلة الموضوعة، والموقوفة وقد جعلها مرفوعة وإنما نقلها كما اقتراها لا أنه افتراها، ولا ينبغي التعبد بحديث موضوع والاغترار بلفظ مصنوع.

وكيف أرتضي لك أن تصلي صلوات الأيام ولياليها، وليس فيها كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! وكيف أوثر أن يطرق سمعك من كلام المتصوفة الذي جمعه وندب إلى العمل به، ما لا حاصل له من الكلام في الفناء والبقاء، والأمر بشدة الجوع، والخروج إلى السياحة في غير حاجة،

والدخول في الفلاة بغير زاد؟! إلى غير ذلك مما قد كشفت عن عواره في كتابي المسمى "تلبيس إبليس"، وسأكتب لك كتاباً يخلو عن مفاسده، ولا يخل بفوائده" انتهى كلام ابن الجوزي.

ونحن ننقل هنا بعض ما قاله العلماء في التحذير من هذا الكتاب.

قال الإمام الطرطوشي المالكي: "فلما عمل كتابه سماه "إحياء علوم الدين" عمد يتكلم في علوم الأحوال ومراقي الصوفية، وكان غير دري بها ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه فلا في علماء المسلمين قر، ولا في أحوال الزاهدين استقر، شحن كتابه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض في مبلغ علمي أكثر كذبا على رسول الله ﷺ منه، سبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني "رسائل إخوان الصفاء" وهم قوم يرون النبوة اكتساباً، وليس النبي في زعمهم أكثر من شخص فاضل تخلق بمحاسن الأخلاق. . . إلى أن قال: "وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب بالنار فإنه إن ترك انتشر بين ظهور الخلق، ومن لا معرفة له بسمومه القاتلة، وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سطر فيه مما هو ضلال، فيحرق قياساً على ما أحرقه الصحابة رضي الله عنهم من صحائف المصحف التي كان فيها اختلاف اللفظ ونقص آي منه. . . وفي دونه من الكتب غنية وكفاية لإخواننا المسلمين، وطبقات الصالحين، ومعظم من وقع في عشق هذا الكتاب رجال صالحون لا معرفة لهم بما يلزم العقل وأصول الديانات، ولا يفهمون الإلهيات، ولا يعلمون حقائق الصفات" انتهى كلام الطرطوشي نقلا عن سير أعلام النبلاء للذهبي **١٩/ ٣٣٤**.

وقال الإمام المازري المالكي بعد كلام في نقد الإحياء: "ورأيت له في الجزء الأول يقول: إن في علومه ما لا يسوغ أن يودع في كتاب، فليت شعري أحق هو أو باطل؟!.

فإن كان باطلاً فصَدَق، وإن كان حقاً وهو مراده بلا شك فلم لا يودع في الكتب؟ ألغموضته ودقته؟ فإن كان هو فهمه، فما المانع أن يفهمه غيره؟! " نقله الذهبي في السير **١٩/ ٣٤٠**.

وقال القاضي عياض: "والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة والتصانيف الفظيعة، غلا في طريق التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم، وصار داعية في ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة، والله أعلم بسره، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب، وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها، فامتثل ذلك" نقله الذهبي **١٩/ ٣٢٧**.

وقال ابن الجوزي في "تلبيس إبليس": (وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب "الإحياء" على طريقة القوم، وملأه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة، وخرج عن قانون الفقه، وقال: إن المراد بالكوكب، والشمس، والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حُجُب الله عز وجل، ولم يُرد هذه المعروفات، وهذا من جنس كلام الباطنية) انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (والإحياء فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين.

وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه وقالوا: مرضه "الشفاء" يعني "شفاء" ابن سينا في الفلسفة.

وفيه أحاديث وآثار ضعيفة بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليظ الصوفية وترهاتهم، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافقة للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة، ما هو أكثر مما يردّ منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه). انتهى من مجموع الفتاوى **١٠/٥٥**.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء **١٩/٣٣٩**:

(أما "الإحياء" ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب، ورسوم، وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية نسأل الله علما نافعاً. تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً، ولم يأت نهي عنه. قال عليه السلام: "من رغب عن سنتي فليس مني" فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في الصحيحين، وسنن النسائي، ورياض النووي وأذكاره تفلح وتنجح. وإياك وآراء عباد الفلاسفة ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنفية السمحة، فوا غوثاه بالله، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم) انتهى كلام الذهبي.

وقد أكثر رحمه الله من النقل عن أبي يزيد البسطامي والحلاج والشبلي، وهم من أهل القول بالاتحاد والحلول، بل ذهب بعض الباحثين إلى أن الغزالي قال بهذا المذهب في كتابه إحياء علوم الدين، وفي بعض كتبه الأخرى.

ولهذا قال شيخ الإسلام عن كتاب مشكاة الأنوار للغزالي: (وهذا الكتاب كالعنصر لمذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود) بغية المرتاد ص ١٨٩ وقال: (وبسبب كلام الغزالي في مشكاة الأنوار تشجع الاتحاديون الملحدون الذين قالوا بوحدة الوجود على ذلك، كقولهم: إن الخلق مجال ومظاهر، لأن وجود الحق ظهر فيها وتجلى) درء تعارض العقل والنقل ١٠/٢٨٣.

وهو يحكي في كتابه كثيراً من الأمور التي لا يقبلها العقل، ولا تستقيم على ميزان الشرع دون أن ينكرها. ومن ذلك قوله ٤/٢٠٠ (وقيل له. أي بضع العارفين. بلغنا أنك ترى الخضر عليه السلام؟ فتبسم وقال: ليس العجب ممن يرى الخضر، ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه)! !.

ونقل عن أبي يزيد البسطامي قوله: (أدخلني. الله. في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلي وأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي، فطوف بي في السموات، وأراني ما فيها من الجنات إلى العرش. أوقفني بين يديه فقال: سلني أي شيء رأيته حتى أهبه لك؟ فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئاً أستحسنه فأسألك إياه. فقال: أنت عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقاً. . . " الإحياء ٤/٣٥٦.

ونقل عن أبي تراب قوله: (لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة). الاحياء ٤/٣٥٦.

إلى غير ذلك من الأمور المنكرة التي يسميها الغزالي "مكاشفات" ويطالب الناس بعدم إنكارها والاعتراض عليها.

ونختم بما قاله الذهبي (فرحم الله أبا حامد، فأين مثله في علومه وفضائله ولكن لا ندعي عصمته من الغلط والخطأ، ولا تقليد في الأصول) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٤٦.[1]

والحمد لله رب العالمين

[1] من فتاوى إسلام ويب.

قطوف من بستان الواعظين

عِبرةٌ وعَبرةٌ

أيها الداعية انتبه بارك الله فيك

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبني تعتبر. ، فقلبته فإذا عليه مكتوب: أنت بما تعلم لا تعمل، فكيف تطلب علم ما لم تعلم؟!

وقال ابن السماك: كم من مذكر بالله ناس لله، وكم من مخوف بالله جريء على الله، وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله، وكم من داع إلى الله فار من الله، وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله.

وقال إبراهيم بن أدهم: لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن، ولحنا في أعمالنا فلم نُعرب. [١]

أيها المفوه. . . . المسألة ليست كلاما يقال!

قال ابن الجوزي: ولَقد تابَ على يَدَيَّ في مجالسِ الذِّكرِ أكثرُ مِن مائتي ألْفٍ، وأسْلَمَ علي يَدَيَّ أكثرُ مِن مائتي نَفْسٍ، وكمْ سَالتْ عينُ مُتَجبرٍ بِوَعْظي لم تكنْ تسيلُ، ويَحِقُّ لِمَنْ تَلمَّحَ هذا الإنْعامَ أنْ يَرجُو التَّمامَ. ورُبَّما لاحتْ أسبابُ الخوفِ بنَظرِي إلى تقْصيرِي وزَلَلِي.

ولقد جلستُ يومًا، فرأيتُ حَولي أكثرَ مِنْ عَشَرةِ آلافٍ، ما فيهمْ إلا مَنْ قدْ رَقَّ قَلبُه، أو دَمَعتْ عَينُه، فقلتُ لنفْسي: كيفَ بِكِ إنْ نَجَوا وهَلَكْتِ؟! فَصِحْتُ بلسانِ وَجْدِي:

إلهي وسيدي! إنْ قضَيْتَ عليَّ بالعذابِ غدًا، فلا تُعلِمْهُم بِعذابي، صِيانةً لكرَمِك، لا لأَجْلِي، لئَلا يَقُولوا: عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عليه. إلهي! قَدْ قِيلَ لنَبيِّك صلى الله عليه وسلم: اقتُل ابنَ أُبَيٍّ المنافق! فقال: "لا يَتحدثُ الناسُ أنَّ محمدًا يَقتُلُ أصحابَه. إلهي! فاحفظْ حُسنَ عقائِدِهم فيَّ بكرَمِك، أنْ تُعْلِمُهم بعذابِ الدليلِ عليك. حاشاك واللهِ يا ربِّ مِن تكديرِ الصافي. [٢]

---

[١] إحياء علوم الدين (١/ ٦٣)

[٢] صيد الخاطر (ص: ٢٤٩)

قطوف من بستان الواعظين

من واحة الشعر الدعوي

(كلُّ حيٍّ سيموتُ ** لَيْسَ في الدُّنيا ثُبُوت)

(حَرَكَاتٌ سَوْفَ تَفْنَى ** ثُمَّ يَتْلُوها خُفُوت)

(وكَلامٌ لَيْسَ يَحْلُو ** بَعْدَهُ إلاَّ السُّكُوت)

(أيُّها السادِرُ قُلْ لِي ** أَيْنَ ذاكَ الجَبَرُوت؟)

(كُنتَ مطبوعاً على النُطْ ** قِ، فَمَا هَذَا الصُّمُوت؟)

(ليت شِعرى، أَهُمودٌ ** ما أراهُ، أَم قنوت؟)

(أَيْنَ أَمْلاكٌ لَهُمْ في ** كُلِّ أُفْقٍ مَلَكُوت)

(زالَت التيجانُ عنهم ** وخَلَتْ تلْكَ التُّخُوت)

(أَصْبَحَتْ أَوْطَانُهُمْ مِنْ ** بَعْدِهِمْ وَهْيَ خُبُوت)

(لا سَمِيعٌ يَفْقَهُ الْقَوْ ** لَ، ولا حَيٌّ يَصُوت)

(عمرَت منهُم قبورٌ ** وخلَت منهم بيوت)

(لم تَذُدْ عَنْهُمْ نُحُوسَ الدَّ ** هْرِ إِذْ حانَتْ بُخُوت)

(خَمَدَتْ تِلْكَ الْمَسَاعِي ** وانْقَضَتْ تلكَ النُّعُوت)

(إِنَّما الدُّنْيا خَيَالٌ ** باطِلٌ سَوْفَ يَفُوت)

(ليسَ للإنسانِ فيها ** غيرَ تقوى اللهِ قوت)[1]

(١) من ديوان محمود سامي البارودي، البحر: مجزوء الرمل